مجلـــة العلـــوم التربـــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)
Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

موقع اللغة في أسباب اختلاف المفسرين(*)

د/ محمد حزام الخياطي
أستاذ مساعد بقسم القرآن وعلومه
كلية التربية بجامعة عمران، اليمن
Mhs22442@gmail.com

*) تاريخ تسليم البحث 2024/7/8م تاريخ قبول البحث للنشر 2024/8/28م
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

موقع اللغة في أسباب اختلاف المفسرين

د/ محمد حزام الخياطي
أستاذ مساعد بقسم القرآن وعلومه
كلية التربية بجامعة عمران، اليمن

الملخص

هذه الدراسة تهدف إلى بيان مكانة اللغة في أسباب اختلاف المفسرين باعتبارها أهم شرط من شروط التفسير؛ إذ لا سبيل إلى فهم كتاب الله إلا بمعرفة لغة العرب وطرائقها وأساليب خطابها، وبيان أثر اللغة في اختلاف المفسرين على التفسير.

وقد تناول البحث بيان مصادر التفسير، وأن اللغة من أهم مصادر التفسير بنوعيه (التفسير المأثور، والتفسير بالرأي). كما تناول البحث بيان مكانة اللغة في أسباب اختلاف المفسرين، وأن اللغة تعد أكثر أسباب الاختلاف في التفسير في القديم والحديث، وأن كتب التفسير حافلة بكثير مما وقع من الاختلاف في التفسير بين الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ويرجع في غالبه إلى اللغة وما تحتمله من معان.

كما تناول البحث أثر اللغة في اختلاف المفسرين من خلال جملة من الأمثلة التطبيقية، وكذلك بيان أثر اللغة في توجيه القراءة وأثر ذلك في الاختلاف في التفسير، وأن توجيه القراءات هو أحد الميادين التي ولجها اللغويون لبيان القراءات واختلافها من وجوه العربية.

الكلمات المفتاحية: اللغة، اختلاف، المفسرين.

The position of language in the reasons for the differences of interpreters

Dr. Mohammed Hazam Al-Khayati
Assistant Professor at the Department of Quran and its Sciences Faculty of Education, University of Amran, Yemen

Abstract

This study aims to show the place of language in the reasons for the difference of interpreters, as it is the most important condition for interpretation, as there is no way to understand the Book of God except by knowing the language of the Arabs, its methods and methods of discourse, and to show the impact of language on the difference of interpreters on the interpretation.

The research dealt with the sources of interpretation, and that language is one of the most important sources of interpretation in both types of interpretation (traditional interpretation and opinion interpretation). The research also dealt with the position of language in the causes of disagreement among interpreters, and that language is one of the most important causes of disagreement in interpretation in the ancient and modern period. The research also addresses the importance of language in the causes of disagreement among the exegetes, and that language is the most common cause of disagreement in interpretation in ancient and modern times.

The research also dealt with the impact of language on the difference of interpreters through a number of practical examples, as well as the impact of language in guiding the reading and its impact on the difference in interpretation, and that guiding the readings is one of the fields that linguists have entered into to explain the readings and their differences from the aspects of Arabic.

Keywords: Language, Difference, Interpreters.

المقدمة:

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

لقد حظي القرآن الكريم باهتمام لم يحظ به غيره من الكتب على مر العصور والأيام، حفظًا وترتيلاً، وتدارسًا وتدبرًا؛ لما احتواه من كنوز العلوم والأحكام.

ومما اهتم به العلماء العلوم الموصلة إلى فهم القرآن الكريم، ومنها معرفة أسباب النزول والقصص، والناسخ والمنسوخ، والقراءات، وعلوم العربية، والحديث، وأصول الفقه، وغيرها.

ومما هو معلوم وقوع الاختلاف في التفسير كما وقع في الأحكام، ولهذا الاختلاف أسباب وعلل موجبة، بينها العلماء وذكروا دوافعها، وأوجه تعددها.

ولما كانت اللغة هي وعاء القرآن والطريق إلى فهمه وبيانه، فإنها من أكثر العوامل التي وقع بسببها اختلاف المفسرين، وإليها يرجع أكثر الاختلاف في التفسير.

ويأتي هذا البحث الموجز في هذا السياق، يبتغي منه الباحث أن يقدم شيئًا ولو يسيرًا في هذا المضمار الواسع. والله نسأل أن يرزقنا التوفيق والسداد والإخلاص في القول والعمل إنه سميع مجيب،،،

أهمية البحث وأسباب اختياره:

١- يعد البحث في أسباب اختلاف المفسرين في التفسير من الموضوعات التي حظيت باهتمام الباحثين قديمًا وحديثًا نظرًا لأثر ذلك في نتاج المفسرين وتعدد أقوالهم فيه.

٢- تعد لغة العرب أهم مصدر للتفسير (المأثور منه وما كان بالرأي)، ولذا فإن بيان موقع اللغة في أسباب اختلاف المفسرين ذو أهمية بالغة لمعرفة وإدراك أثر اللغة في اختلاف المفسرين.

٣- وإذا كانت الأبحاث مستفيضة في بيان أسباب اختلاف المفسرين في التفسير فإن إبراز كون اللغة – أهم هذه الأسباب– جدير بالاهتمام والبحث، وذلك من خلال استعراض هذه الأسباب، ومعرفة مكانة اللغة منها.

أهداف البحث:

١- توضيح مكانة اللغة في أسباب اختلاف المفسرين.

٢- بيان ما يترتب على كون اللغة أهم أسباب اختلاف المفسرين.

٣- بيان أثر اللغة في الاختلاف في التفسير.

الدراسات السابقة:

لم أعثر على دراسة تبين موقع اللغة في أسباب اختلاف المفسرين، وإن كانت هناك دراسات تحدثت عن أثر اللغة في اختلاف المفسرين، إلا أن هذا يختلف عن مقصود هذا البحث، إذ يتناول موقع اللغة في أسباب اختلاف المفسرين بين الأسباب الأخرى.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث، وخاتمة، على النحو التالي:

المقدمة: وفيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره.

التمهيد: وفيه:

بيان أسباب اختلاف المفسرين، وأهمية اللغة في التفسير.

المبحث الأول: اللغة كأهم مصدر للتفسير، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مصادر التفسير المأثور.

المطلب الثاني: مصادر التفسير بالرأي.

المبحث الثاني: مكانة اللغة في أسباب اختلاف المفسرين.

المبحث الثالث: أثر اللغة في اختلاف المفسرين.

المبحث الرابع: أثر اللغة في توجيه القراءة وأثر ذلك في الاختلاف في التفسير.

الخاتمة: وفيها: أهم النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع:

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك وفق ما يلي:

١- استقراء أسباب اختلاف المفسرين، وموقع اللغة في أسباب الاختلاف، مع بيان أثر اللغة في اختلاف المفسرين بإيجاز.

٢- توثيق النقل وعزوه إلى من نُقل عنه.

٣- عزو الآيات القرآنية إلى سورها.

٤- عزو القراءات القرآنية إلى مصادرها الأصلية.

٥- تخريج الأحاديث النبوية والآثار (إن وجدت) من مصادرها المعتمدة والحكم عليها من خلال أقوال أهل العلم.

٦- عدم الترجمة للأعلام، لما تقتضيه طبيعة البحث من الاختصار.

التمهيد:

أسباب اختلاف المفسرين:

حظي القرآن الكريم بما لم يحظ به- أو بقريب منه- غيره من الكتب قديمًا وحديثًا، فقد نفرت طائفة من علماء الأمة لمدارسته، وتدبره، وتفسيره، ومع امتداد الزمان، واتساع المكان، وتكاثر العلماء، وتنوع الثقافات، وظهور الفرق والمذاهب كثرت أقوال المفسرين، وتنوع تفسيرهم، وتعددت أقوالهم، وكبرت مصنفاتهم، وأصبح ذلك لافتا للنظر، مستوقفا للفكر[١].

(١) ينظر: الشايع، محمد بن عبد الرحمن، أسباب اختلاف المفسرين (٥، ٩).

وقد وقع الاختلاف في التفسير كما وقع في الأحكام، فتفسير القرآن منه ما هو متفق عليه ومنه ما هو مختلف فيه[١]، ولهذا الاختلاف أسباب أوجبته، وعلل أوجدته، والأمر في الاختلاف في النص إذا كان معلومًا للمجتهدين يرجع إلى أحد شيئين:

الأول: اختلاف فهوم المجتهدين من العلماء.

الثاني: أن يكون النص محتملاً لأكثر من معنى[٢].

ومن أسباب الاختلاف بين المفسرين[٣]:

١- اختلاف القراءة: وذلك بأن يكون في الآية حرف له قراءتان لكل منهما تفسير مختلف.

٢- الاختلاف في المباحث اللغوية والبيانية، وهي:

١) الاشتراك: وهو اللفظ الدال على أكثر من معنى في لغة العرب.

٢) الاختلاف في مفسر الضمير.

٣) أن يكون في الجملة حذف.

٤) أن تحتمل اللفظة أكثر من تصريف في اللغة.

٥) تنوع الاستعمال العربي للفظة في إرادة المعاني القريبة والمعاني البعيدة.

١- أن يدور حكم الآية بين الإحكام والنسخ.

٢- أن يدور حكم الآية بين العموم والخصوص.

٣- اختلاف مقاييس النقد للرواية (سندًا ومتنًا)[٤].

٤- اختلاف الانتماء العقدي والمذهبي[٥].

٥- ومن خلال بيان هذه الأسباب نلحظ أن موقع اللغة من أسباب الاختلاف ملحوظ، وإليه يرجع أكثر الاختلاف في التفسير.

أهمية اللغة في التفسير:

العربية هي لغة القرآن فالقرآن نزل بلسان عربي مبين، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ۝١٠٣﴾ [النحل: ١٠٣]، وقال أيضًا: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [فصلت: ٣]... إلى غير ذلك من الآيات.

---

(١) ينظر: ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٦).

(٢) ينظر: الطيار، مساعد، فصول في أصول التفسير (ص٨٧)

(٣) ينظر: الفنيسان، سعود بن عبد الله، اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره، (٥٧- ٢٨٦)، والطيار، فصول في أصول التفسير، (ص٧٦-٩٧).

(٤) ينظر: اختلاف المفسرين أسبابه وآثاره، (١٧٢-١٩١) مرجع سابق.

(٥) ينظر: السابق (٢٢٤- ٢٦٣).

وتتمثل أهمية اللغة في التفسير فيما يلي:

١-اللغة طريق لفهم معاني القرآن:

لا سبيل إلى فهم كتاب الله إلا بمعرفة لغة العرب وطرائقها وأساليب خطابها، ولقد أدرك الصحابة أهمية اللغة لفهم كتاب الله -وهم جيل التنزيل- فحثوا على تعلم مصادرها كالشعر، ومن هؤلاء الخليفة الراشد عمر رضي الله عنه إذ يقول: "يا أيها الناس، عليكم بديوانكم شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم"(١).

وما جاء في أقوال الصحابة من التفسير اعتمادًا على لغة العرب وشعرها غير قليل، ومن ذلك ما جاء في أقوال ابن عباس ومسائل ابن الأزرق(٢).

ثم جاء تلاميذ الصحابة من التابعين الكبار فأكدوا على أهمية اللغة كأهم مصدر في فهم القرآن وتعددت أقوالهم في ذلك، ومن هؤلاء مجاهد ابن جبر (ت: ١٠٤هـ) تلميذ ابن عباس وهو أحد المكثرين في القول في تفسير كتاب الله عزوجل إذ يقول: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالما بلغات العرب"(٣).

ونحو هذا قول الإمام مالك (ت: ١٧٩هـ): "لا أُوتَى برجل يفسِّر كتابَ الله غيرَ عالِم بلغة العرب، إلا جعلتُه نكالاً"(٤).

ويؤكد الإمام الشافعي (ت: ٢٠٤هـ) على تقرير هذا الأمر فيقول: "وإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها: اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عامًا، ظاهرًا، يراد به العام، الظاهر، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره، وعامًا ظاهرًا يراد به العام، ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه، وعامًا ظاهرًا، يراد به الخاص، وظاهرًا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره. فكل هذا موجود علمه في أول الكلام، أو وسطه، أو آخره"، ثم بين رحمه الله حكم من تكلم في بيان معاني القرآن وهو يجهل هذه السعة في لسان العرب فقال: "وكانت هذه الوجوه التي وصفت اجتماعها في معرفة أهل العلم منها به- وإن اختلفت أسباب معرفتها - معرفة واضحة عندها، ومستنكرًا عند غيرها، ممن جهل هذا من لسانها، وبلسانها نزل الكتاب، وجاءت السنة، فتكلف القول في علمها تكلف ما يجهل بعضه ومن تكلف ما جهل، وما لم تثبته معرفته: كانت موافقته للصواب - إن وافقه من حيث لا يعرفه - غير محمودة، والله أعلم، وكان بخطئه غير معذور، وإذا ما نطق فيما لا يحيط علمه بالفرق بين الخطأ والصواب فيه"(٥).

---

(١) روي بإسناد فيه مجهول عن عمر. القسطلاني، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (١٩٦/٧). وينظر: الثعلبي، الكشف والبيان (٦/ ١٩)، والزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٦٠٩)، والقرطبي الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ١١١).

(٢) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٦٧).

(٣) الزركشي، البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٩٢).

(٤) السابق (١/ ٢٩٢).

(٥) الرسالة (١/ ٥٠).

ويقول ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) في وجوب تعلم العربية لفهم كتاب الله: "نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب؛ فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"(١).

ويقول الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) في هذا المعنى: "ما نقل من فهم السلف الصالح فيه (القرآن)؛ فإنه كله جار على ما تقضي به العربية، وما تدل عليه الأدلة الشرعية.." (٢).

٢-معرفة اللغة شرط لتفسير القرآن الكريم:

عُدّ فهم اللغة شرطًا لتفسير القرآن الكريم، يقول ابن جرير (ت: ٣١٠هـ): "قد قلنا فيما مضى من كتابنا هذا في وجوه تأويل القرآن، وأن تأويل جميع القرآن على أوجه ثلاثة:

أحدها: لا سبيل إلى الوصول إليه، وهو الذي استأثر الله بعلمه، وحجب علمه عن جميع خلقه، مثل: وقت قيام الساعة، ووقت نزول عيسى بن مريم، ووقت طلوع الشمس من مغربها، والنفخ في الصور، وما أشبه ذلك. والوجه الثاني: ما خص الله بعلم تأويله نبيه ﷺ دون سائر أمته، والثالث منها: ما كان علمه عند أهل اللسان الذي نزل به القرآن، وذلك علم تأويل عربيته وإعرابه، لا يوصل إلى علم ذلك إلا من قبلهم.

فإذ كان ذلك كذلك، فأحق المفسرين بإصابة الحق -في تأويل القرآن الذي إلى علم تأويله للعباد السبيل- أوضحهم حجة فيما تأول وفسر، مما كان تأويله إلى رسول الله ﷺ دون سائر أمته من أخبار رسول الله ﷺ الثابتة عنه إما من جهة النقل المستفيض، فيما وجد فيه من ذلك عنه النقل المستفيض، وإما من جهة نقل العدول الأثبات، فيما لم يكن فيه عنه النقل المستفيض، أو من جهة الدلالة المنصوبة على صحته، وأصحهم برهانا -فيما ترجم وبيّن من ذلك- مما كان مدركًا علمه من جهة اللسان إما بالشواهد من أشعارهم السائرة، وإما من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة، كائنًا من كان ذلك المتأول والمفسر، بعد أن لا يكون خارجا تأويله وتفسيره ما تأول وفسر من ذلك، عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة، والخلف من التابعين وعلماء الأمة"(٣).

وقال ابن فارس (ت:٣٩٥): "إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب، حتى لا غناء بأحد منهم عنه، وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب، ورسول الله ﷺ عربي. فمن أراد معرفة ما في كتاب الله جل وعز، وما في سنة رسول الله ﷺ من كل كلمة غريبة أو نظم عجيب، لم يجد من العلم باللغة بدّا"(٤).

وقال ابن جزي الكلبي (ت: ٧٤١هـ): "وأما اللغة فلا بد للمفسر من حفظ ما ورد في القرآن منها وهي غريب القرآن وهي من فنون التفسير وأما النحو فلا بد للمفسر من معرفته؛ فإنّ القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى معرفة اللسان. وأما علم البيان: فهو علم شريف تظهر به فصاحة القرآن"(٥).

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٥٢٧).

(٢) ينظر: الموافقات ٤/٢٥٣.

(٣) جامع البيان (١/ ٩٢-٩٣).

(٤) ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق: السيد أحمد صقر (ص:٥٠).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١٨).

وقال الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ): "لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثم عرف، فلا يصح أن يجرى في فهمها على ما لا تعرفه، وهذا جار في المعاني والألفاظ والأساليب"(١).

وقال الزركشي (ت: ٧٩٤هـ): "ويحتاج الكاشف عن ذلك (معرفة القرآن وغريبه) إلى معرفة علم اللغة اسمًا وفعلاً وحرفًا.."(٢).

وذكر السيوطي (ت: ٩١١هـ) شروط المفسر وآدابه فقال: "الثالث: الأخذ بمطلق اللغة، فإن القرآن نزل بلسان عربي"(٣).

ويقول العلامة ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ) في بيان أهمية اللغة في فهم القرآن، وسعتها وتعدد معانيها، وأثر ذلك في فهم القرآن وتعدد معانيه: "ولما كان القرآن نازلاً من المحيط علمه بكل شيء، كان ما تسمح تراكيبه الجارية على فصيح استعمال الكلام البليغ باحتماله من المعاني المألوفة للعرب في أمثال تلك التراكيب، مظنونا بأنه مراد لمنزله، ما لم يمنع من ذلك مانع صريح أو غالب من دلالة شرعية أو لغوية أو توقيفية، وقد جعل الله القرآن كتاب الأمة كلها وفيه هديها، ودعاهم إلى تدبره وبذل الجهد في استخراج معانيه في غير ما آية وإنك لتمر بالآية الواحدة فتتأملها وتتدبرها فتنهال عليك معان كثيرة يسمح بها التركيب على اختلاف الاعتبارات في أساليب الاستعمال العربي، وقد تتكاثر عليك فلا تك من كثرتها في حصر، ولا تجعل الحمل على بعضها منافيا للحمل على البعض الآخر إن كان التركيب سمحا بذلك.

فمختلف المحامل التي تسمح بها كلمات القرآن وتراكيبه وإعرابه ودلالته، من اشتراك وحقيقة ومجاز، وصريح وكناية، وبديع، ووصل، ووقف، إذا لم تفض إلى خلاف المقصود من السياق، يجب حمل الكلام على جميعها كالوصل والوقف في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة: ٢] إذا وقف على لا ريب أو على فيه. وقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ﴾ [آل عمران: ١٤٦] باختلاف المعنى إذا وقف على قوله قاتل، أو على قوله معه ربيون كثير. كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ﴾ [آل عمران: ٧] باختلاف المعنى عند الوقف على اسم الجلالة أو على قوله في العلم، وكقوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ﴾ [مريم: ٤٦] باختلاف ارتباط النداء من قوله: يا إبراهيم بالتوبيخ بقوله: أراغب أنت، أو بالوعيد في قوله: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ﴾.

وقد أراد الله تعالى أن يكون القرآن كتابًا مخاطبًا به كل الأمم في جميع العصور، لذلك جعله بلغة هي أفصح كلام بين لغات البشر وهي اللغة العربية، لأسباب يلوح لي منها، أن تلك اللغة أوفر اللغات مادة، وأقلها حروفًا،

(١) الموافقات (٢/ ١٣١).

(٢) البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٩١).

(٣) الإتقان في علوم القرآن (٤/ ٢٠٩).

وأفصحها لهجة، وأكثرها تصرفًا في الدلالة على أغراض المتكلم، وأوفرها ألفاظًا، وجعله جامعًا لأكثر ما يمكن أن تتحمله اللغة العربية في نظم تراكيبها من المعاني، في أقل ما يسمح به نظم تلك اللغة، فكان قوام أساليبه جاريًا على أسلوب الإيجاز فلذلك كثر فيه ما لم يكثر مثله في كلام بلغاء العرب.

ومن أدق ذلك وأجدره بأن ننبه عليه في هذه المقدمة استعمال اللفظ المشترك في معنييه أو معانيه دفعة، واستعمال اللفظ في معناه الحقيقي ومعناه المجازي معا"(١).

٣-اللغة من طرق الترجيح عند اختلاف الأقوال في التفسير:

أكد العلماء أن اللغة هي المرجح الذي يرجح عند اختلاف الأقوال في التفسير، يقول ابن جزي في مقدمة تفسيره في بيان أسباب قبول أقوال المفسرين أو ردها أو الترجيح فيما بينها: "وإذا كان القول في غاية السقوط والبطلان لم أذكره تنزيها للكتاب، وربما ذكرته تحذيرًا منه، وهذا الذي من الترجيح والتصحيح مبنيّ على القواعد العلمية، أو ما تقتضيه اللغة العربية، وسنذكر بعد هذا بابًا في موجبات الترجيح بين الأقوال إن شاء الله"(٢).

ثم قال: "وأما وجوه الترجيح فهي اثنا عشر، الأول: تفسير بعض القرآن ببعض، الخامس: أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب أو التصريف أو الاشتقاق"(٣).

ويقول ابن كثير عن اختلاف القول عند التابعين في التفسير: "أما إذا أجمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على قول بعض ولا على من بعدهم ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب"(٤).

وكتب التفسير حافلة بأقوال المفسرين التي مصدرها اللغة ومعهود الاستعمال العربي، فلا يخلو منها كتاب.

ومما سبق يتضح أنه لا سبيل لمفسر أن يتصدى للتفسير دون الرجوع إلى لغة العرب في فهمه وبيان معانيه وحكمه، بل إن كتب معاني القرآن ككتابي الفراء، والزجاج، وكتب إعراب القرآن ككتاب النحاس، وكتب مجاز القرآن ككتاب أبي عبيد، كل هذه الكتب ترجع تسميتها إلى شيء واحد هو شرح اللفظ القرآني، والاستدلال له من كلام العرب وأشعارهم.

(١) التحرير والتنوير ١/ ٩٤-٩٨. بتصرف.

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١/ ١١) مرجع سابق.

(٣) السابق (١/ ١٩).

(٤) تفسير القرآن العظيم (١/ ١١).

المبحث الأول: اللغة أهم مصدر للتفسير

اختار الله نبيه محمدًا ﷺ عربيًا، وجعل كتابه بلسان قومه، جريًا على سنة الله في إرسال الرسل عليهم السلام، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٤﴾ [إبراهيم: ٤].

ولما كان الأمر كذلك، فإنه لا يمكن العدول عن هذه اللغة التي نزل بها القرآن إلى غيرها إذا أريد تفسير الكتاب الذي نزل بها؛ لأن معرفة معاني ألفاظه لا تؤخذ إلا منها(١).

ولذا كانت اللغة ولا تزال أهم مصدر للتفسير قديمًا وحديثًا، ولا يصح تفسير القرآن بمعزل عن لغة العرب، كما سبق بيانه، فاللغة هي أهم مصادر التفسير بنوعيه (التفسير المأثور، والتفسير بالرأي). وسنبين ذلك في يما يلي:

المطلب الأول: مصادر التفسير المأثور

تحدث العلماء عن المصادر التي اعتمدها السلف في التفسير المأثور، وخلاصة أقوالهم اعتبار اللغة من أهم مصادر التفسير المأثور، وأنَّ مصادر التفسير المأثور تتمثل في:

١- تفسير القرآن بالقرآن.

٢- وتفسيره بالسنة.

٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

٤- تفسير القرآن بأقوال التابعين(٢).

ومن خلال دراسة بيان التفسير ومصادره في هذه المراحل، يتبين أن ما نقل عن الصحابة من التفسير ليس على درجة واحدة، إذ إن بعضه مصدره مما نقل عن النبي ﷺ وبعضه مصدره الاجتهاد وقوة الاستنباط، وبعضه مما نقل عن أهل الكتاب.

وقد ذكر العلامة محمد حسين الذهبي أن مصادر التفسير في عصر الصحابة -بعد وفاة النبي ﷺ تتلخص في أربعة مصادر، وهي:

الأول: القرآن الكريم.

الثاني: النبي ﷺ.

الثالث: الاجتهاد وقوة الاستنباط.

الرابع: أهل الكتاب اليهود والنصارى.

---

(١) ينظر: الطيار، مساعد، التفسير اللغوي للقرآن الكريم (ص: ٤٠).

(٢) اختلف العلماء -رحمهم الله تعالى- في الرجوع إلى أقوال التابعين إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا في أقوال الصحابة، فمنهم من عد أقوال التابعين مصدرًا من مصادر التفسير بالمأثور ومنهم من عدها كسائر أقوال العلماء. ينظر: الرومي، فهد، دراسات في علوم القرآن (ص: ١٥٣).

وذكر فيما يتصل بالمصدر الثالث (الاجتهاد وقوة الاستنباط) أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، إذا لم يجدوا التفسير في كتاب الله، ولم يتيسر لهم أخذه عن رسول الله ﷺ رجعوا في ذلك إلى اجتهادهم وإعمال رأيهم، وهذا بالنسبة لما يحتاج إلى نظر واجتهاد، أما ما يمكن فهمه بمجرد معرفة اللغة العربية فكانوا لا يحتاجون في فهمه إلى إعمال النظر، ضرورة أنهم من خُلَّصِ العرب، يعرفون كلام العرب ومناحيهم في القول، ويعرفون الألفاظ العربية ومعانيها بالوقوف على ما ورد من ذلك في الشعر الجاهلي الذى هو ديوان العرب، كما يقول عمر رضى الله عنه.

ومعلوم أن النبي ﷺ لم يفسر كل القرآن، وما نقل عنه ﷺ من التفسير قليل، أنه ﷺ لم يفسر للصحابة من ألفاظ القرآن إلا ما احتاجوا إليه، وهذا يعني أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتأولون القرآن على ما يفهمونه من لغتهم؛ لوضوح ذلك عندهم، فإذا أشكل عليهم منه شيء سألوا رسول الله ﷺ(١).

وقد توسع التفسير في عهد الصحابة أكثر مما كان في عهد النبوة ولذا تعددت أقول الصحابة في التفسير واختلفت أقوالهم فيه؛ وذلك يرجع إلى اجتهادهم بناء على لغة العرب بدرجة أساسية ثم العوامل الأخرى، كأهل الكتاب.

"فالصحابة- رضوان الله عليهم أجمعين- كانوا يتفاوتون في القدرة على فهم القرآن وبيان معانيه المرادة منه، وذلك راجع إلى اختلافهم في أدوات الفهم، فقد كانوا يتفاوتون في العلم بلغتهم، فمنهم من كان واسع الاطلاع فيها ملِّماً بغريبها، ومنهم دون ذلك"(٢).

ومن أمثلة هذا التفاوت في معرفة لغة العرب، ما أخرجه أبو عبيدة في الفضائل عن أنس: "أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [عبس: ٣١] فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟ ثم رجعَ إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر"(٣).

وما روى من أن عمر كان على المنبر فقرأ: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧] ثم سأل عن معنى التخوف، فقال له رجل من هذيل: التخوُّف عندنا التنقص، ثم أنشده:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ منها تامِكاً قَرِداً ... كما تَخَوَّفَ عُودَ النبعةِ السَّفِنُ(٤)(٥).

---

(١) ينظر: التفسير والمفسرون (١/ ٣١-٤٨).

(٢) السابق (١/ ٣٠).

(٣) صحيح، أخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٤/ ٢٢٩) من طريقين عن حميد عن أنس به. حميد هو ابن أبي حميد. ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥٥٩) من طريق يزيد عن حميد، وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه".

(٤) ينظر: والتخوف: التنقص شيئًا فشيئًا. والتامك: السنام المرتفع. والقَرِد: الذي أكله القراد من كثرة أسفارها. أو الذي تنقب وفسد من الرحل في السفر. والنبعة: واحدة النبع، وهو شجر تتخذ منه القسي. ويروى: ظهر النبعة. السَّفِنُ: المبرد الحديد الذي ينحت به الخشب، يقول: تنقص رحلها سنامها المرتفع الذي تنقب من كثرة السفر، كما تنقص المبرد عود النبعة. وفيه تشبيه بها في الصلابة. ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة (١٠/ ٩٢)، وابن سيده، المخصص (٤/ ١٨٥)، والقرطبي، جامع الأحكام (١٠/ ١١١).

(٥) الأثر ذكره الطبري في تفسيره (٢١٤/١٧) عن رجل مجهول عن عمر رضي الله عنه، وذكره في موضع آخر عن ابن زيد (٢١٤/١٧). وينظر: الرازي، مفاتيح الغيب (٢٠/ ٢١٣)، والقرطبي، جامع الأحكام (١٠/ ١١٠).

وما أخرجه أبو عبيدة من طريق مجاهد عن ابن عباس قال: "كنت لا أدرى ما ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ١٤] حتى أتاني أعرابيان يتخاصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها، والآخر يقول: أنا ابتدأتها"(١).

مصادر التفسير في عصر التابعين:

ما جاء عن الصحابة من التفسير لم يتناول جميع آيات القرآن، وإنما فسَّروا ما غمض فهمه على معاصريهم، ثم تزايد هذا الغموض – على تدرج – كلما بَعُد الناس عن عصر النبي ﷺ والصحابة، فاحتاج المشتغلون بالتفسير من التابعين إلى أن يكملوا بعض هذا النقص، فزادوا في التفسير بمقدار ما زاد من غموض، ثم جاء مَن بعدهم فأتموا تفسير القرآن تباعاً، معتمدين على ما عرفوه من لغة العرب ومناحيهم في القول(٢).

وقد اعتمد التابعون في فهمهم لكتاب الله تعالى على ما جاء في الكتاب نفسه، وعلى ما رووه عن الصحابة عن رسول الله ﷺ، وعلى ما رووه عن الصحابة من تفسيرهم أنفسهم، وعلى ما أخذوه من أهل الكتاب مما جاء في كتبهم، وعلى ما يفتح الله به عليهم من طريق الاجتهاد والنظر في كتاب الله تعالى.

المطلب الثاني: مصادر التفسير بالرأي

المصادر التي يجب على المفسِّر أن يرجع إليها عند تفسيره للقرآن، حتى يكون تفسيره جائزًا ومقبولاً يمكن تلخيصها فيما يلي(٣):

١ – الرجوع إلى القرآن نفسه.

٢ – النقل عن الرسول ﷺ.

٣ – الأخذ بما صحّ عن الصحابة في التفسير.

٤ – الأخذ بمطلق اللغة.

٥ – التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمتقضب من قوة الشرع (الاجتهاد). وهذا الذي عناه عليٌّ رضى الله عنه بقوله– حين سُئِل: هل عندكم عن رسول الله ﷺ شيء بعد القرآن؟ فقال: "لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهم يؤتيه الله عَزَّ وجَلَّ رجلاً في القرآن"(٤).

والمفسِّر في هذا النوع من التفسير يبذل جهده ووسعه في فهم النص القرآني مستندًا إلى اللغة، والنصوص الشرعية.

وفي ضوء ما سبق من بيان لمصادر التفسير (بنوعيه) تعتبر اللغة هي المشترك الأكبر والمصدر الأوسع، ويؤكد هذا العلامة أبو زهرة –رحمه الله– بكون اللغة أهم مصادر التفسير فيقول: "ولا شكَّ أنَّ اللغة هي الساس الأول لكل هذه المصادر، ولا نقصد باللغة ما تومئ إليه المعاجم فقط، فإنَّ تفسير النبي ﷺ لا يمكن أن يكون مخالفًا

(١) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن، (ص ٣٤٥) وفيه إبراهيم بن مهاجر فيه ضعف من قبل حفظه. والطبري في تفسيره جامع البيان (١١/ ٢٨٣).

(٢) ينظر: التفسير والمفسرون (١/ ٧٦).

(٣) ينظر: التفسير والمفسرون (١/ ١٩٥)، وأبو زهرة، محمد، المعجزة الكبرى القرآن (ص: ٣٩٧)، والموسوعة القرآنية المتخصصة (ص٢٥١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١١١٠ رقم :٢٨٨٢).

للعربية ومعانيها؛ لأنه العربي الذي ينطق بجوامع الكلم، وليس في الكلام العربي ما يكون أصدق مصدر للاستعمال العربي الصحيح من أقوال النبي ﷺ ..، ويعلل قوله في كون اللغة أهم مصدر التفسير: إذ هي في ذاتها أداة التعبير، ولا يمكن الاستغناء عنها في أيٍّ منهاج من مناهجه، فهي لا تعد مصدرًا مستقلاً؛ إذ هي تدخل في كل المصادر.."[١].

(١) المعجزة الكبرى (ص٣٩٧).

المبحث الثاني: مكانة اللغة في أسباب اختلاف المفسرين

وقع الاختلاف في التفسير بشقيه (المأثور) والتفسير (بالرأي) وتعددت أسباب الاختلاف فيه وقد بين العلماء أسباب هذا الاختلاف الحاصل بين المفسرين قديمًا وحديثًا وسنذكر هنا جملة الأسباب التي يراها العلماء سببًا في وقوع الاختلاف في القول بين المفسرين لكتاب الله عزوجل.

وبالرغم من أن المؤلفات الخاصة بأسباب الاختلاف في التفسير قليلة، فإننا سنحاول عرض هذه الأسباب (موجزة) من خلال ما كتب من إشارات لدى العلماء في مقدمات التفسير، كابن جزي، وابن تيمية، والطوفي، أو ما كتب في أسباب الخلاف في بعض كتب أصول التفسير، أو الدراسات العلمية في أسباب اختلاف المفسرين، كما سيأتي.

أولاً: ما ذكره ابن جزي الكلبي من أسباب اختلاف المفسرين:

حيث ذكر ابن جزي في مقدمة تفسيره أسباب الخلاف بين المفسرين، فقال: الباب الخامس: في أسباب الخلاف بين المفسرين، والوجوه التي يرجح بها بين أقوالهم. فأما أسباب الخلاف فهي اثنا عشر:

الأول: اختلاف القرآن.

الثاني: اختلاف وجوه الإعراب وإن اتفقت القراءات.

الثالث: اختلاف اللغويين في معنى الكلمة.

الرابع: اشتراك اللفظ بين معنيين فأكثر.

الخامس: احتمال العموم والخصوص.

السادس: احتمال الإطلاق أو التقييد.

السابع: احتمال الحقيقة أو المجاز.

الثامن: احتمال الإضمار أو الاستقلال.

التاسع: احتمال الكلمة زائدة.

العاشر: احتمال حمل الكلام على الترتيب وعلى التقديم والتأخير.

الحادي عشر: احتمال أن يكون الحكم منسوخًا أو محكمًا.

الثاني عشر: اختلاف الرواية في التفسير عن النبي ﷺ وعن السلف رضي الله عنهم(١).

ونلحظ هنا أن (تسعة) من الأسباب من وجوه اختلاف المفسرين التي ذكرها ابن جزي تعود إلى اللغة.

ثانيًا: ما ذكره ابن تيمية من أسباب الاختلاف في التفسير:

ذكر ابن تيمية أن أسباب الخلاف في التفسير نوعان رئيسان، النوع الأول: الخلاف الواقع في التفسير من جهة النقل. وأما النوع الثاني: في الاختلاف في التفسير باختلاف طرق الاستدلال. وبيّن أن أكثر هذا يرجع إلى جهة الفهم أو اللغة(٢).

---

(١) ينظر: (١/ ١٨-١٩).

(٢) ينظر: مقدمة في أصول التفسير (ص: ٢٠-٣٨).

ثالثًا: ما أورده الطوفي في كتابه الإكسير في علم التفسير:

ذكر الطوفي أن اختلاف أقوال المفسرين في الحرف الواحد أو الآية الواحدة يرجع إلى كون التفسير المنقول عن الصحابة قليل، نظرًا لتفرق الصحابة بعد موت النبي ﷺ واختلاف الناقلين عنهم، فتعددت الأقوال في التفسير، ثم اجتهد الناس في التفسير بناء على ما جاء في السنة، أو اللغة وما جاء في التاريخ وأخبار الأمم، والإسرائيليات، فقال: "ثم تفرق الصحابة رضي الله عنهم بعد موت النبي ﷺ في البلاد، ونقلوا ما علموه من التفسير إلى تابعيهم، وليس كل صحابي علم تفسير جميع القرآن بل بعضه، إذ الجامعون للقرآن على عهده ﷺ كانوا نفرا معدودين، وشرذمة قليلين، فألقى الصحابي ذلك البعض إلى تابعه، ولعل ذلك التابعي لم يجتمع بصحابي آخر يكمل له التفسير، أو اجتمع بمن لا زيادة عنه على ما عند الصحابي الذي أخذ منه، فاقتصر عليه وشرع يكمل تفسير القرآن باجتهاده استنباطا من اللغة تارة، ومن السنة أخرى، ومن نظير الآية المطلوب تفسيرها من القرآن تارة أخرى، ومن مدارك أخر رآها صالحة لأخذ التفسير منها، كالتاريخ، وأيام الأمم الخالية، والإسرائيليات ونحوها، فاتسع الخرق وكثر الدخل في التفسير حتي آل الأمر إلى الأقوال الكثيرة، فتفعل كل طبقة من المفسرين كفعل التي قبلها، من زيادة الوجوه، والأقوال، والاختيارات، كما نراهم يصرحون به في تفاسيرهم ، وينسبون الأقوال إلى آرائهم ومذاهبهم، وهذا بعينه هو كان السبب في اختلاف مذاهب الفقهاء رحمهم الله أعني تفرق الصحابة في البلاد، واختصاص بعضهم بما ليس عند غيره من ناسخ أو منسوخ، أو زيادة في حكم من تقييد مطلق، أو تخصيص عام، ونحوه، فأفتى كل منهم بما انتهى إليه علمه، ثم انضم إلى ذلك اختلافهم في تأويل الكتاب والسنة بحسب ما فهموه من اختلاف اللغات، والقرائن، والأحوال، ثم تلقي ذلك عنهم التابعون رحمهم الله، فمن بعدهم – فلا جرم – كثر الخلاف جدًا"[(١)].

رابعًا: ما ذكره الدكتور سعود النفيسان في رسالته: اختلاف المفسرين: أسبابه وآثاره[(٢)]:

هذه الرسالة دراسة علمية وافية في هذا الباب، ذكر فيها المؤلف أسباب الخلاف بين المفسرين بتوسع واستفاضة، في بابين، وقد نهج فيها على تقسيم الأسباب إلى عامة وخاصة، وذكر من الأسباب العامة في الفصل الثاني من الباب الأول: المباحث اللغوية والبيانية وهي على النحو التالي:

١-الإعراب. ٢-والاشتراك اللفظي. ٣-والحقيقة والمجاز. ٤-والعموم والخصوص. ٥-والمطلق والمقيد.

٦-والمجمل والمبين. ٧-والأمر والنهي.

خامسًا: ما ذكره الدكتور محمد الشايع في كتابه: أسباب اختلاف المفسرين[(٣)]:

وهذا الكتاب دراسة علمية مختصرة في مبناها، قيمة في معناها، لخص فيها مؤلفها أسباب الخلاف في التفسير وأنواعه، وذكر (عشرين) سببًا لاختلاف المفسرين، منها (ثلاثة عشر) سببًا متعلقة باللغة، وهي:

١- احتمال الإطلاق أو التقييد.

٢- احتمال الحقيقة أو المجاز.

٣- احتمال اللفظ تعدد المعاني لا على سبيل الاشتراك.

---

(١) ينظر: (ص ٣٦).

(٢) ينظر: (ص ٥٦-٢٨٦).

(٣) ينظر: (ص ٣٥-١٢٤).

٤- احمال اللفظ.

٥- الاختلاف في وجوه الإعراب.

٦- الاختلاف في مرجع الضمير.

٧- الاشتراك اللفظي.

٨- احتمال الكلام التقديم والتأخير وتقدير إعادة الترتيب.

٩- احتمال وجود حذف والاحتياج إلى تقدير محذوف.

١٠- احتمال كون الكلمة صلة في سياق الكلام.

١١- الاختلاف في الاستثناء في نوعه وعوده.

١٢- الاختلاف في معاني الحروف.

١٣- إغفال دلالة سياق الآية.

سادسًا: ما ذكره الدكتور محمد صالح سليمان في كتابه: اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق[(١)]:

فقد ذكر في دراسته أسباب الخلاف بين السلف في التفسير وأرجعه إلى أسباب عامة وأخرى تفصيلية، حيث ذكر أن أسباب الخلاف في التفسير كثيرة ومتشعبة، فتارة يكون مردها لغوية، وتارة يكون مردها إلى قواعد أصولية، وتارة يكون مردها إلى غير ذلك، وكل واحد مما ذكر يتفرع عنه فروع كثيرة، إلا أن هذه الأسباب على كثرتها يمكن ردها كلها إلى سببين رئيسين لا يخرج سبب للخلاف عنهما.

الأول: احتمال النص القرآني لوجوه شتى من المعاني والدلالات فلولا مجيء النص القرآني محتملاً معاني كثيرة، ووجوها شتى ما اختلفت فيه أنظار العلماء وأقوالهم؛ ولذا فالاحتمال سبب رئيس من أسباب الخلاف، لكن هذا الاحتمال قد يكون بسبب الاشتراك، أو التواطؤ، أو غير ذلك، كما سيأتي بيانه.

الثاني: قلة التفاسير الصريحة لآيات القرآن من القرآن أو السنة، إذ من المعلوم أن تفسير القرآن بالقرآن، أو ورود التفسير عن الرسول ﷺ دافع للخلاف، ورافع للنزاع، فكل ما ناقض تفسير القرآن بالقرآن، أو تفسير الرسول الصريح فهو مردود باطل.

ثم قال: وعلى ضوء ما تقدم: يمكن تقسيم أسباب الخلاف إلى قسمين:

القسم الأول: أسباب رئيسة (الإجمالية)، وهما السببان السابق ذكرهما. **القسم الثاني**: أسباب فرعية (التفصيلية).

وذكر (أحد عشر) سببًا من الأسباب التفصيلية للخلاف الواقع بين السلف، (عشرة) منها متعلقة باللغة، وهي:

١-الإجمال في اللفظ أو التركيب.٢- الاشتراك اللفظي.٣- اشتقاق اللفظ.٤- احتمال اللفظ لمعنى قريب ولآخر بعيد.٥- الحذف المحتمل في تقديره لأكثر من معنى.٦- اختلاف وجوه الإعراب.٧- الاختلاف في حمل الكلام

(١) ينظر: (ص ١٧٧-٢١٦).

على الترتيب، أو على التأخير.٨- احتمال الكلام الإحكام أو النسخ.٩-احتمال العموم أو الخصوص. ١٠ احتمال الإطلاق أو التقييد.

سابعًا: فهد الرومي في كتابه: بحوث في أصول التفسير:

ذكر جملة من أسباب اختلاف المفسرين في التفسير وهي[١]:

١- أن يكون في الآية أكثر من قراءة فيفسر كل منهم الآية على -قراءة مخصوصة- .٢- الاختلاف في الإعراب. ٣- الاختلاف في المراد باللفظ لاحتماله أكثر من معنى، كالاشتراك اللفظي، أو المواطأة.٤- احتمال الإطلاق والتقييد.٥- الاختلاف في العموم والخصوص. ٦-الاختلاف في الحقيقة والمجاز.٧- الاختلاف في الإضمار والإظهار.٨- الاختلاف بسبب بلوغ الرواية وعدمه.

فهذه (ثمانية) أسباب من أسباب اختلاف المفسرين، منها (ستة) أسباب متعلقة باللغة.

ثامنًا: ما ذكره الدكتور مساعد الطيار في كتابه فصول في أصول التفسير:

فقد ذكر من أسباب الخلاف المتعلقة باللغة ما يلي[٢]:

١ – الاشتراك.٢ – الاختلاف في مفسر الضمير.٣ – أن يكون في الجملة حذف.٤ – أن تحتمل اللفظة أكثر من تصريف في اللغة.٥ – تنوع الاستعمال العربي للفظة في إرادة المعاني القريبة والمعاني البعيدة.٦ – أن يدور حكم الآية بين الإحكام والنسخ.٧ – أن يدور حكم الآية بين العموم والخصوص.

٨ – أن يذكر الوصف المحتمل لأكثر من موصوف.٩ – أن يكون في الآية حرف له قراءتان.

ويمكن استخلاص مما سبق أن أسباب اختلاف المفسرين تتلخص في:

أولاً: الاختلاف في القراءة وقبولها.

ثانيًا: ما يتعلق بالحديث النبوي من حيث: البلوغ أو الثبوت، أو الفهم.

ثالثًا: ما يرجع إلى دعاوى النسخ والاختلاف فيها.

رابعًا: ما يرجع إلى الاختلاف العقدي، أو المذهب الفقهي، وما يقع فيهما من تعصب.

خامسًا: ما يرجع إلى المباحث اللغوية والبيانية، وما يقع فيهما من الاختلاف وهي:

١- الإعراب.

٢- والاشتراك اللفظي.

٣- والحقيقة والمجاز.

٤- والعموم والخصوص.

٥- والمطلق والمقيد.

٦- والمجمل والمبين.

---

(١) ينظر: (ص ٤٤-٥٤).

(٢) ينظر: (ص ٨٧-٩٦).

٧- والأمر والنهي.

٨- والاختلاف في مرجع الضمير.

٩- واحتمال الكلام التقديم والتأخير.

١٠- وجود الحذف وتقديره.

١١- احتمال كون الكلام صلة في سياق الكلام.

١٢- الاختلاف في الاستثناء ونوعه.

١٣- الاختلاف في معاني الحروف.

١٤- في إرادة المعاني القريبة والمعاني البعيدة.

والمتأمل فيما سبق من أسباب الاختلاف في التفسير يلحظ أن أكثر أساب الاختلاف متعلق باللغة، بما فيها الاختلاف في القراءة وتوجيهها- وبخاصة القراءة الشاذة-، إذ القراءة أحد مظاهر تعدد لهجات العرب واختلاف لسانهم.

المبحث الثالث: أثر اللغة في اختلاف المفسرين

للغة أثر في وقوع الاختلاف في التفسير بشقيه المأثور والرأي، وإن كان الخلاف في التفسير بالمأثور قليلاً إلا أنه حاصل وواقع.

اختلاف السلف في التفسير وأثر اللغة[١]:

١- أثر اللغة في اختلاف الصحابة في التفسير:

لقد كان للصحابة الكرام رضي الله عنهم ميزة عن غيرهم، في شهود التنزيل الذين نزل بلغتهم، وعرفوا أحوال من نزل فيهم الخطاب من المشركين وأهل الكتاب، فتصدى بعضهم لعلم التفسير، حتى صار مبرزًا فيه كعبد الله بن مسعود الهذلي، وعبد الله بن عباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنهم.

وقد وقع بين الصحابة رضي الله عنهم خلاف محقق في تفسير بعض الألفاظ القرآنية التي لها أكثر من دلالة لغوية، فحملها بعضهم على معنى، وحملها الآخرون على معنى آخر ومن أشهر الأمثلة التي يمكن أن يمثل بها:

- **اختلافهم في المقصود بـ(خليفة)** في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠].

٢- فروي عن ابن عباس وابن مسعود أن المعنى: إني جاعل في الأرض خليفةً مني يخلفني في الحكم بين خلقي. وذلك الخليفة هو آدمُ ومن قام مقامه في طاعة الله والحكم بالعدل بين خلقه، فهو خليفة عن الله في إقامة شرعه، ودلائل توحيده، والحكم في خلقه[٢].

٣- وروي عن ابن عباس من طريق الضحاك، وعن عبد الله بن عمرو: أن المعنى: خلف من سلف في الأرض قبله[٣].

وقد ورد معنى خليفة في اللغة: أن الخليفة: الذي يُستَخلَف ممن قبله، والجمع خلائف[٤]. وخَلَفَ فلانٌ فلانا، قام بالأمر عنه، إمّا معه وإمّا بعده[٥].

---

(١) للاستزادة من الأمثلة التطبيقية لاختلاف السلف من الصحابة ومن بعدهم، يتم الاطلاع على ما سطرته الدكتورة منى المعيذر في رسالتها: اختلاف التنوُّع في التفسير – دراسة نظرية تطبيقية، وما كتبه الدكتور محمد صالح محمد سليمان في رسالته: اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق. وكلاهما مطبوعتان.

(٢) ينظر: الطبري، جامع البيان (١/ ٤٥٢)، وابن عطية، المحرر الوجيز (١/ ١١٧)، وابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (١/٥٠). وقال ابن كثير عن هذه الرواية:" هذا الإسناد إلى هؤلاء الصحابة مشهور في تفسير السُّدِّي، ويقع فيه إسرائيليات كثيرة، فلعل بعضها مُدْرَج ليس من كلام الصحابة، أو أنهم أخذوه من بعض الكتب المتقدمة. تفسير ابن كثير (١/٢٣٠).

(٣) ينظر: جامع البيان (١/ ٤٥٠)، والمحرر الوجيز (١/ ١١٧)، وزاد المسير في علم التفسير (١/ ٥٠).

(٤) ينظر: ابن منظور، لسان العرب (٩/ ٨٣).

(٥) ينظر: الراغب، المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٩٤).

والْخَلْفُ ساكن اللام ومفتوحها: ما جاء من بعد، و(الْخَلَفُ) بالتحريك: ما استخلفته من شيء، وخلف فلان فلانا: إذا كان خليفته، وخلفه أيضًا: جاء بعده، واستخلفه: جعله خليفته[1].

والمتأمل في خلاف الصحابة في معنى خليفة يجد أنه لم يخرج عما ورد في اللغة من معان.

- **اختلافهم في لفظ: (القَرْءُ)** في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ [البقرة: ٢٢٨]، فقد ورد في معنى القرء قولان، كلاهما معتمد على اللغة، وهما:

١- الحيض، وبه قال عمر بن الخطاب، وأبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأبو موسى الأشعري، وابن عباس، رضي الله عنهم.

٢- الطهر، وبه قال زيد بن ثابت، وعائشة، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم[2].

قال ابن جرير: "والقَرْءُ" في كلام العرب: جمع "قُرْء"، وقد تجمعه العرب "أَقْرَاءً" يقال في "أَفْعَلَ" منه: "أَقْرَأَتِ الْمَرْأَةُ"- إذا صارت ذات حِيَضٍ وطُهر-"فهي تُقْرِئَ إِقْرَاءً". وأصل "القَرْءِ" في كلام العرب: الوقت. لمجيء الشيء المعتاد مجيئه لوقت معلوم، ولإدبار الشيء المعتاد إدباره لوقت معلوم. ولذلك قالت العرب: "أَقْرَأَتْ حاجة فلان عندي"، بمعنى: دنا قضاؤها، وحان وقت قضائها "وَأَقْرَأَ النجم" إذا جاء وقت أفوله، "وَأَقْرَأَ" إذا جاء وقت طلوعه... ولذلك سمى بعض العرب وقت مجيء الحيض قُرْءًا، إذا كان دما يعتاد ظهوره من فرج المرأة في وقت، وكمونه في آخر، فسمي وقت مجيئه قُرْءًا، كما سمى الذين سموا وقت مجيء الريح لوقتها قُرْءًا وسمى آخرون من العرب وقت مجيء الطهر قُرْءًا، إذ كان وقت مجيئه وقتًا لإدبار الدم دم الحيض، وإقبال الطهر المعتاد مجيئه لوقت معلوم"[3].

- **ومثاله اختلافهم في معنى (قسورة)** في قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٤٩-٥١].

١- روي عن ابن عباس في قسورة: أنهم الرماة، وعنه أيضًا أنهم القناص، وعنه أنهم الجماعة من الرجال[4].

٢- وروي عن أبي هريرة: أن قسورة هو الأسد[5]، وعن ابن عباس أيضًا[6].

قال ابن فارس: القاف والسين والراء يدل على قهر وغلبة بشدة. من ذلك القسر: الغلبة والقهر.

يقال: قَسَرْتُهُ قَسْرًا، وَاقْتَسَرْتُهُ اقْتِسَارًا. وبعير قَيْسَرِيٌّ: صلب. وَالْقَسْوَرَةُ: الأسد، لقوته وغلبته[7].

---

(١) ينظر: مختار الصحاح (ص: ٩٥)، ولسان العرب (٩/ ٨٣-٨٤).

(٢) ينظر: جامع البيان (٤/ ٥٠٠-٥١١)، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٣/ ١١٣).

(٣) ينظر: جامع البيان (٤/ ٥١٢).

(٤) ينظر: جامع البيان (٢٤/ ٤٠-٤٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/١٨٧٤). وينظر: جامع البيان (٢٤/ ٤٠-٤٢).

(٦) ينظر: جامع البيان (٢٤/ ٤٢).

(٧) مقاييس اللغة (٥/ ٨٨).

وقال الراغب في قسورة: قيل: هو الأسد، وقيل: الرّامي، وقيل: الصّائد[١].

والناظر في خلاف الصحابة في معنى قسورة يجده مبنيًا على اختلاف العرب في معنى قسورة، فعبر كل منهم بمعنى مستعمل في العربية.

- **ومثاله اختلافهم في المقصود بـ(أصحاب اليمين)** في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ۝٣٩﴾ [المدثر:٣٨-٣٩].

١- فروي عن علي رضي الله عنه أنهم: الولدان وأطفال المسلمين.

٢- وروي عن ابن عباس أنهم: الملائكة.

قال ابن جرير: وإنما قال من قال: أصحاب اليمين في هذا الموضع: هم الولدان وأطفال المسلمين؛ ومن قال: هم الملائكة، لأن هؤلاء لم يكن لهم ذنوب، وقالوا: لم يكونوا ليسألوا المجرمين (ما سلككم في سقر) إلا إنهم لم يقترفوا في الدنيا مآثم، ولو كانوا اقترفوها وعرفوها لم يكونوا ليسألوهم عما سلكهم في سقر، لأن كل من دخل من بني آدم ممن بلغ حد التكليف، ولزمه فرض الأمر والنهي، قد علم أن أحدا لا يعاقب إلا على المعصية[٢].

وهذا الاختلاف في المراد (بأصحاب اليمين) بسبب أن (اليمين) وصف لم يذكر موصوفها، وهي صالحة لأن تحمل على كل ما قيل فيها، فهو من قبيل المتواطئ[٣].

٤- أثر اللغة في اختلاف التابعين في التفسير:

برز جماعة من أعلام التابعين في علم التفسير ممن تتلمذ علي يد ثلة من الصحابة، كسعيد بن جبير (ت:٩٤)، ومجاهد بن جبر (ت:١٠٤)، وقتادة بن دعامة السدوسي (ت:١١٧)، وغيرهم.

ومن أمثلة اختلافهم في التفسير فيما يرجع إلى اللغة:

- **اختلافهم في تفسير (زلفى)** في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ۝٢٧﴾ [الملك:٢٧].

١- جاء عن الحسن وقتادة، في قوله: (فلما رأوه زلفة سيئت) أي: عاينوه.

٢- وعن مجاهد، قوله: (فلما رأوه زلفة) قال: قد اقترب[٤].

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٧٠).

(٢) جامع البيان (٢٤/ ٣٦).

(٣) المتواطئ: هو الكلي الذي يكون حصول معناه وصدقه على أفراده الذهنية والخارجية على السوية، كالإنسان، والشمس؛ فإن الإنسان له أفراد في الخارج، وصدقه عليها بالسوية، والشمس لها أفراد في الذهن، وصدقها عليها أيضًا بالسوية. ينظر: الجرجاني، التعريفات (١٩٩).

(٤) ينظر: جامع البيان (٢٣/ ٥١٨).

قال الزجاج: والمعنى فلما رأوا العذاب زلفةً، أَيْ قريبًا[١]... كما جاء في قوله: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء:٩٠] ومعناه: قُرِبَتْ، وتأويله أنه قرب دخولهم إياها، ونظرهم إليها[٢].

وقال ابن فارس: (زَلُفَ) الزَّاءُ وَاللَّامُ وَالفَاءُ: يدل على اندفاع وتقدم في قرب إلى شيء[٣].

فتفسير زلفة بقريب: تفسير لفظي روعي فيه المعنى اللغوي لكلمة زلفة. وأما قول الحسن وقتادة: معاينة فهو تفسير بالمعنى[٤].

- **ومثاله اختلافهم في تفسير قوله تعالى:** ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم:١١].

١- عن قتادة: (هماز) يأكل لحوم المسلمين، (مشاء بنميم): ينقل الأحاديث من بعض الناس إلى بعض.

٢- وقال ابن زيد، في قوله: (هماز) قال: الهماز: الذي يهمز الناس بيده ويضربهم، وليس باللسان[٥].

قال ابن فارس: الهاء والميم والزاء كلمة تدل على ضغط وعصر. وهمزت الشيء في كفي. ومنه الهمز في الكلام، كأنه يضغط الحرف[٦].

قال ابن عاشور: وأصل الهمز: الطعن بعود أو يد، وأطلق على الأذى بالقول في الغيبة على وجه الاستعارة[٧].

فابن زيد حمل المعنى على الأصل اللغوي، وقتادة وغيره ممن فسر أن المراد بالهمزة بمعنى المغتاب، ذهبوا إلى الاستعمال، وهذا وارد في اللغة.

٥- أثر اللغة في الاختلاف في التفسير بعد عصر التابعين:

استمر الاجتهاد في التفسير في جيل التابعين وأتباعهم، حيث اعتمد كل هؤلاء على اللغة كمصدر أساس في التفسير، ووقع الخلاف بينهم أكثر من ذي قبل، وكتب التفسير حافلة بكثير من أقوالهم التي اختلفت في بيان آيات القرآن الكريم، وكان سبب الاختلاف يرجع في غالبه إلى اللغة وما تحتمله من معان.

وذلك يرجع إل كون اللغة "أداة التعبير، ولا يمكن الاستغناء عنها في أيّ منهاج من مناهج التفسير، فهي لا تعد مصدرًا مستقلاً؛ إذ هي تدخل في كل المصادر.."[٨].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٠١).

(٢) ينظر: السابق (٤/ ٩٤).

(٣) مقاييس اللغة (٣/ ٢١).

(٤) ينظر: المعيذر، اختلاف التنوُّع في التفسير – دراسة نظرية تطبيقية ص ٣٧٨.

(٥) ينظر: جامع البيان (٢٣/ ٥٣٤).

(٦) مقاييس اللغة (٦/ ٦٥).

(٧) التحرير والتنوير (٢٩/ ٧٢).

(٨) ينظر: أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن (ص: ٣٩٧)، بتصرف يسير.

المبحث الرابع: أثر اللغة في توجيه القراءة وأثر ذلك في الاختلاف في التفسير

لا يخفى أن القراءة مرتبطة باللفظ العربي واختلاف استعماله، وأن الاختلاف فيها له أثره على التفسير، وقد دوَّن العلماء هذه القراءات المتواترة وحفظوا أسانيدها بحيث لا يمكن زيادة شيء على المتواتر أو النقص منه. وظهر علم يتعلق بهذه القراءات وهو: توجيه القراءات، ويسمى: علل القراءات، أو الاحتجاج للقراءات.

والمقصود بهذا العلم: بيان وجه القراءة من حيث العربية، ومعرفة الفروق بين القراءات المختلفة(١). فهو علم يبحث فيه عن ماهية القراءات، ببيان عللها، وتوجيهها من حيث اللغة والإعراب(٢)، وهو فن جليل وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها(٣).

والتوجيه يكون للأداء، وللإعراب، وللصرف، وللغة، وللمعنى. والمراد هنا ما يتعلق بالمعنى؛ لأنه هو المؤثِّر في التفسير، حيث يختلف المعنى باختلاف القراءة(٤).

وفائدته: أن يكون دليلاً على حسب المدلول عليه أو مرجحًا(٥)، ومن هنا شاع على ألسنة العلماء: أن "اختلاف القراءات يظهر اختلاف الأحكام"(٦).

وتوجيه القراءات هو أحد الميادين التي ولجها اللغويون لبيان ما في القراءات واختلافها من وجوه العربية، فلا يخلو كتاب في مفردات اللغة العربية ككتاب العين وجمهرة اللغة وغيرها من توجيه القراءات، وإن كان الاختلاف إنما يكون في القلة والكثرة في إيراد القراءات المختلفة وبيان معانيها(٧).

وقد أسهم هذا النوعُ من التأليف في إثراء العربيّة، وخدمة لغة القرآن، وكان إضافةً لدرس العربيّة اتخذ القرآن محورًا، وجعله مدارًا يدورُ حولَه، وكم من مسألةٍ عازبة، يعزُّ عليك أن تجدها في المطوّلات النحوية، ثمّ تجدها منشورةً مبسوطةً في كتب توجيه القراءات، وتعدُّ من أرقى الدراسات التطبيقية في اللغة العربية، وهي تمثِّل اللحمة القويّة بين علوم العربيّة وعلوم القرآن، وتصوّر التآخي بينهما في أعلى مراتبه، وأسمى درجاته؛ لأنّها تتخّذ النَّصّ المقدَّسَ مجالاً للدرسِ، وتروضُ خدمته، ورفع ما يحيق بفهمه من حواجز، وتيسير ذلك الفهم من خلالِ تناوُلٍ لغويّ ميسَّرٍ يعتمد التحليل، والإعراب، وذكر النظائر، والاستئناس بالرأي أو الآراء الأخرى، وتخريج ما في القراءة على كلام العرب، أو آراء العلماء ومذاهبهم(٨).

---

(١) ينظر: فصول في أصول التفسير (ص: ١٦٦).

(٢) ينظر: صفحات في علوم القراءات (ص: ٢٨٦).

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٣٩).

(٤) ينظر: فصول في أصول التفسير (ص: ١٦٦).

(٥) ينظر: البرهان في علوم القرآن (١/ ٣٣٩).

(٦) ينظر: الصالح، صبحي، مباحث في علوم القرآن (ص: ٢٥٣).

(٧) ينظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم (ص: ٣٤٥، ٣٩٥).

(٨) ينظر: العايد، سليمان بن إبراهيم بن محمد، عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم (ص: ٦٠-٦١).

وقد نحى العلماء ممن كان لهم اشتغال وعناية بألفاظ القرآن (قراءة وتفسيرًا) في بيان تفسير الألفاظ وتوجيه القراءات معتمدين على الشواهد اللغوية.

ومن الأمثلة التي تتعلق بتوجيه المعنى مع الاختلاف في القراءة ما يأتي:

ما جاء في تفسير ابن جرير الطبري:

في قوله تعالى: ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ١٥﴾ [الحجر: ١٥] فقال: واختلفت القرّاء في قراءة قوله (سُكِّرَتْ)[١] فقرأ أهل المدينة والعراق: (سُكِّرَتْ) بتشديد الكاف، بمعنى: غُشيت وغطيت، هكذا كان يقول أبو عمرو بن العلاء فيما ذُكر لي عنه، وذُكر عن مجاهد أنه كان يقرأ (لَقالُوا إنَّمَا سُكِرَتْ)، وذهب مجاهد في قراءته ذلك كذلك إلى حُبست أبصارنا عن الرؤية والنظر من سكور الريح، وذلك سكونها وركودها، يقال منه: سكرت الريح إذا سكنت وركدت، وقد حُكي عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول: هو مأخوذ من سكر الشراب، وأن معناه: قد غشَّى أبصارنا السكر، وأما أهل التأويل، فإنهم اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: معنى (سُكِّرَتْ): سدّت. وقال آخرون: معنى سكرت: أخذت، وقال آخرون: هو مأخوذ من السكر، ومعناه: غشي على أبصارنا فلا نبصر، كما يفعل السكر بصاحبه، وقال آخرون: معنى ذلك: عميت، ثم عقب بقوله: "وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي، قول من قال: معنى ذلك: أخذت أبصارنا وسحرت، فلا تبصر الشيء على ما هو به، وذهب حد إبصارها، وانطفأ نوره، كما يقال للشيء الحار إذا ذهبت فورته وسكن حد حره: قد سكر يسكر. قال المثنى بن جندل الطُّهوي:

جاءَ الشِّتاءُ واجْثَأَلَّ القُبَّرُ[٢] ... واستَخْفَتِ الأفْعَى وكانت تَظْهَرُ

وجَعَلَتْ عينُ الحَرُور تَسْكُرُ.

أي تسكن وتذهب وتنطفئ، وذكر عن قيس أنها تقول: سَكَرَتِ الريحُ تَسْكُرُ سُكُورًا، بمعنى: سكنت، وإذا كان ذلك عنها صحيحًا؛ فإن معنى: سُكِرَت وسُكِّرَتْ بالتخفيف والتشديد متقاربان[٣].

ما جاء في معاني القرآن للفراء:

- في قوله: ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ١٩﴾ [الواقعة: ١٩] قال أي: عن الخمر، (وَلَا يُنزِفُونَ)[٤]؛ أي: لا تذهب عقولهم، يقال للرجل إذا سكر قد نُزِف عقله، وإذا ذهب دمه وغشي عليه أو مات قيل: منزوف. ومن

(١) قَرأَ ابن كثير (سُكِرَتْ) بالتخفيف، وقرأ الباقون (سُكِّرَتْ) بالتشديد. ينظر: الحجة في القراءات السبع (ص: ٢٠٦)، ومعاني القراءات (٢/ ٦٨)، وحجة القراءات (ص: ٣٨٢)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ٣٠١).

(٢) القُبَّرُ: هي طائرة من العصافير غبراء على رأسها قنبرة، والقبرة تطير في السماء وتصفر. ينظر: المخصص (٢/ ٣٤٥). ومعنى اجْثَأَلَّ: اجثأل: معناه اجتمع وتقبض. ينظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٣٤)، (١١/ ١٦). واجثأل الطائر، بالهمز: تنفش للندى والبرد. واجثأل الرجل إذا غضب وتهيأ للشر والقتال. ينظر: لسان العرب (١١/ ١٠٠).

(٣) جامع البيان (١٧/ ٧٤-٧٦).

(٤) قَرَأَ عاصم وحمزة والكسائي {لَا يصدعون عَنْهَا وَلَا ينزِفون} بِكَسْر الزَّاي، أَي لَا ينْفد شرابهم كَمَا ينْفد شراب أهل الدُّنْيَا، وقَرَأَ الباقون {وَلَا ينزَفون} بفتح الزاي يقول لا تذهب عقولهم بشربها. ينظر: حجة القراءات (ص: ٦٩٤)، والتيسير في القراءات السبع (ص: ٢٠٧).

قرأ: "يُنْزِفُونَ" يقول: لا تفنى خمرهم، والعرب تقول للقوم إذا فني زادهم: قد: أَنْزَفُوا واقتروا، وأنفضوا، وأرمَلوا، وأملقوا(١).

- وقوله جل وعز: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ۝٧﴾(٢) [الانفطار:٧]، **قال**: قرأها الأعمش وعاصم "فَعَدَلَكَ" مخففة. وقرأها أهل الحجاز: "فَعَدَّلَكَ" مشددة. فمن قرأها بالتخفيف فوجهه والله أعلم: فصرفكَ إلى أيّ صورة شاء إما: حسن، أو قبيح، أو طويل، أو قصير.

ومن قرأ: "فَعَدَّلَكَ" مشددة، فإنه أراد- والله أعلم جعلك معتدلاً معدل الخلق، وهو أعجب الوجهين إلي، وأجودهما في العربية لأنك تقول: في أي صورة ما شاء ركبك، فتجعل- في- للتركيب أقوى في العربية من أن يكون في للعدل لأنك تقول: عدلتك إلى كذا وكذا، وصرفتك إلى كذا وكذا، أجود من أن تقول: عدلتك فيه، وصرفتك فيه(٣).

ما جاء في معاني القرآن للزجاج:

- **في قوله**: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ۝١٣٧﴾(٤) [الشعراء:١٣٧] **قال**: ويقرأ (خُلُقُ الأولينَ)، فمن قرأ خُلُق الأولِين بضم الخاء فمعناه عادة الأولين، ومن قرأ خَلق بفتح الخاء، فمعناه اختلاقهم وكذبهم.
- وفي (خَلْقُ الأولين) وجه آخر، أي خُلقْنَا كما خُلِقَ من كان قَبلَنَا، نحيا كما حَيُوا، ونموتُ كما ماتوا وَلَا نُبْعَثُ، لأنهم أنكروا البعث(٥).
- **وقوله عزَّ وجل**: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ۝١٢﴾(٦) [النجم:١٢]. **قال**: (أفَتمْرُونه) و(أفَتُمارُونَه) وقرئت بالوجهين جميعًا، فمن قرأ (أفَتَمرونَهُ) فالمعنى: أفتَجْحَدونَهُ. ومن قرأ (أفَتُمارُونَه) فمعناه: أفتجادلونه في أنه رأى اللَّه – عزوجل – بقلبه، وأنه رأى الكبرى من آياته(٧).

---

(١) ينظر: معاني القرآن (٣/ ١٢٣).

(٢) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر (فَعَدَلَكَ) بتخفيف الدَّال، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي (فَعَدَّلَكَ) بتشديد الدال. ينظر: ابن مجاهد، السبعة في القراءات (ص: ٦٧٤)، والأزهري، معاني القراءات (٣/ ١٢٦)، وابن زنجلة، حجة القراءات (ص: ٧٥٢) وابن الجزري، النشر في القراءات العشر (٢/ ٣٩٩).

(٣) ينظر: الفراء، معاني القرآن (٣/ ٢٤٤).

(٤) قرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة {خُلُقُ الْأَوَّلِينَ} بضم الخاء واللام، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي {خَلْقُ الْأَوَّلِينَ} بفتح الخاء وتسكين اللام. ينظر: السبعة في القراءات (ص: ٤٧٢)، والأزهري، معاني القراءات (٢/ ٢٢٧)، وحجة القراءات (ص: ٥١٨).

(٥) ينظر: (٤/ ٩٧).

(٦) قرأ حمزة والكسائي (أفتَمرونه) بفتح التاء بغير ألف، وقرأ الباقون (أفَتُمارونه) بضم التاء وألف. ينظر: السبعة في القراءات (ص: ٦١٤)، وحجة القراءات (ص: ٦٨٥).

(٧) ينظر: (٥/ ٧١-٧٢).

ما جاء في مجاز القرآن لأبي عبيدة:

- في قوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[1] [الأحزاب:٣٣]، **قال**: القاف مكسورة لأنها من وقرت تقر، تقديره وزنت تزن ومعناه من الوقار، ومن فتح القاف فإن مجازها من "قرَّت تقرَّ" تقديره: قررت تقر فحذف الراء الثانية فخففها، وقد تفعل العرب ذلك وقال الشاعر:

خَلَا أنَّ العِنَاقَ من المطايا ... أَحَسْنَ بِهِ فَهُنَّ إليهِ شُوسُ[2]

أراد أحسسن به[3].

- وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ۝٥٥﴾ [يس: ٥٥]، الفَكِهُ: الذي يتفكَّهُ، تقولُ العرب للرجل إذ كان يتفكَّه بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراضِ الناس: إنَّ فلانًا لفكِهٌ بأعراض. قالت خنساء أو عمرة بنتها:

فَكِهٌ عَلى حِينِ العشَاءِ إذا ... حَضَرَ الشِّتَاءُ وَعَزَّتِ الجُزُرُ

ومنْ قرأها: {فَاكِهُونَ} جعلَهُ: كثيرَ الفواكِه، صاحبَ فاكهةٍ، قال الحطيئة:

وَدَعَوتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّ ... لكَ لَابِنٌ بِالصَّيْفِ تَامِرُ

أي: ذا لبن وتمر، أي: عنده لبنٌ كثيرٌ وتمرٌ كثيرٌ، وكذلك: عاسِلٌ ولاحمٌ وشاحمٌ[4].

والكتب التي اعتنت بتوجيه القراءات –قديمًا وحديثًا– كثيرة، وكتب التفسير وخاصة (المطوَّلات) لا تخلو من توجيه القراءات، كتفسير ابن جرير الطبري وابن عطية وغيره، وكتب المعاني والمفردات، لا تخلوا من توجيه القراءات أيضًا.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبفضله سهل المهمات، أحمده سبحانه على ما أعان ويسر في كتابة هذا البحث، والذي في تمامه أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها، وهي كما يلي:

١– أنه لا سبيل إلى فهم كتاب الله إلا بمعرفة لغة العرب وطرائقها وأساليب خطابها.

٢– تعتبر اللغة أهم مصادر التفسير، بل هي المشترك الأكبر والمصدر الأوسع للتفسير.

٣– من خلال استقراء أسباب الاختلاف في التفسير يُلحظ أن أكثر أسباب الاختلاف متعلق باللغة.

٤– كتب التفسير حافلة بكثير مما وقع من الاختلاف في التفسير بين الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ويرجع في غالبه إلى اللغة وما تحتمله من معان.

---

(١) قرأ نافع وعاصم (وَقَرْنَ) بفتح القاف، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي (وقِرْنَ) بالكسر. ينظر: السبعة في القراءات (ص: ٥٢١)، ومعاني القراءات (٢/ ٢٨٢)، وحجة القراءات (ص: ٥٧٧)، والنشر في القراءات العشر (٢/ ١٠٣).

(٢) البيت لأبي زيد الطائي يصف إبلا أبصرت أسدا فهي تنظر إليه شزرا. الشوس، بالتحريك: النظر بمؤخر العين تكبرا تكبرًا أو تغيظًا. ينظر: جمهرة اللغة (١/ ٩٧)، ولسان العرب (٦/ ١١٥).

(٣) ينظر: (٢/ ١٣٧).

(٤) ينظر: السابق (٢/ ١٦٣).

٥- أن توجيه القراءات هو أحد الميادين التي ولجها اللغويون لبيان القراءات واختلافها من وجوه العربية.

٦- وأن العلماء الذين كان لهم اشتغال وعناية بألفاظ القرآن (قراءة وتفسيرًا) قد نهجوا في بيان تفسير الألفاظ وتوجيه القراءات معتمدين على الشواهد اللغوية.

وأوصي: بمزيد عناية بالبحث في أثر اللغة في اختلاف المفسرين، من خلال استقراء تفاسيرهم.

والحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع:

ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت ٨٣٣هـ)، النشر في القراءات العشر، المحقق: علي محمد الضباع، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية].

ابن الجوزي، عبد الرحمن (ت ٥٩٧هـ)، زاد المسير في علم التفسير، ط١، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت(١٤٢٢هـ).

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ)، مقدمة في أصول التفسير، الناشر: دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان (١٤٩٠هـ-١٩٨٠م).

ابن تيمية، حمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ)، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ط٧، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).

ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد (ت ٧٤١هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، ط١، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت(١٤١٦هـ).

ابن خالويه، الحسين بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، الحجة في القراءات السبع، ط٤، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، الناشر: دار الشروق – بيروت (١٤٠١هـ).

ابن دريد، محمد بن الحسن (ت ٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، ط١، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت (١٩٨٧م).

ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، حجة القراءات (٤٠٣ هـ)، محقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الرسالة.

ابن سيده، علي بن إسماعيل، المخصص (ت ٤٥٨هـ)، ط١، المحقق: خليل إبراهيم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

ابن عاشور، محمد الطاهر (١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس (١٤١٧هـ-١٩٩٦م).

ابن عطية، عبد الحق بن غالب (ت ٥٤٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ط١، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت (١٤٢٢هـ).

ابن فارس، أحمد بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر (١٩٧٩م).

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق: السيد أحمد صقر، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن العظيم، ط٢، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس (ت ٣٢٤هـ)، السبعة في القراءات، ط٢، المحقق: شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر(١٤٠٠هـ).

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على (ت ٧١١هـ)، لسان العرب، ط٣، دار صادر – بيروت ١٤١٤هـ.

أبو زهرة، محمد بن أحمد (ت ١٣٩٤هـ)، المعجزة الكبرى القرآن، الناشر: دار الفكر العربي.

أبو عبيد، القاسم بن سلاّم (ت ٢٢٤ هـ)، فضائل القرآن، ط١، دار ابن كثير (دمشق - بيروت)، (١٤١٥هـ-١٩٩٥م).

أبو عبيدة، معمر بن المثنى (ت ٢٠٩هـ)، مجاز القرآن، المحقق: محمد فواد سزگين، الناشر: مكتبة الخانجى – القاهرة(١٣٨١هـ).

الأزهري، محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، معاني القراءات، ط١، الناشر: مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية (١٤١٢هـ - ١٩٩١م).

الأزهري، محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، ط١، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت (٢٠٠١م).

البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، ط٥، (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق. (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت ٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ط١، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).

الجرجاني، علي بن محمد (ت ٨١٦هـ)، التعريفات، ط١، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت -لبنان (١٤٠٣هـ -١٩٨٣م).

الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط٤، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

الحاكم، محمد بن عبد الله (٤٠٥هـ)، المستدرك على الصحيحين، ط١، دار الرسالة العالمية، (١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م).

الداني، عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤هـ)، التيسير في القراءات السبع، ط٢، المحقق: اوتو تريزل، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

الذهبي، محمد السيد حسين (ت ١٣٩٨هـ)، التفسير والمفسرون، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر (ت ٦٠٦هـ)، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ط٣، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت (١٤٢٠هـ).

الرازي، محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، ط٥، المحقق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا (١٤٢٠هـ -١٩٩٩م).

الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد (ت ٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، ط١، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية – دمشق، بيروت (١٤١٢هـ).

الرومي، فهد بن عبد الرحمن (١٤١٩هـ)، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ط٤، مكتبة التوبة، الرياض.

الرومي، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، دراسات في علوم القرآن، ط١٢، من منشورات مركز تفسير للدراسات القرآنية – الرياض.

الزجاج، إبراهيم بن سهل (ت ٣١١هـ)، معاني القرآن وإعرابه، ط١، عالم الكتب – بيروت (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (ت ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، ط١، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم (١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م).

الزمخشري، جار الله محمود بن عمرو (ت ٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت (١٤٠٧هـ).

سليمان، محمد صالح محمد (١٤٣٠هـ)، اختلاف السلف في التفسير بين التنظير والتطبيق، ط١، دار ابن الجوزي، ومركز تفسير، الرياض.

السندي، أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور (١٤١٥هـ)، صفحات في علوم القراءات، ط١، الناشر: المكتبة الأمدادية.

السيوطي جلال الدين (ت ٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م).

الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد (ت ٧٩٠هـ)، الموافقات، ط١، المحقق: مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان (١٤١٧هـ- ١٩٩٧م).

الشافعي، محمد بن إدريس (٢٠٤ هـ)، الرسالة، ط١، المحقق: أحمد شاكر، الناشر: مكتبه الحلبي، مصر (١٣٥٨هـ -١٩٤٠م).

الشايع، محمد بن عبد الرحمن (١٤١٦هـ)، أسباب اختلاف المفسرين، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض.

الصالح، صبحي (ت١٤٠٧)، مباحث في علوم القرآن، ط٢٤، دار العلم للملايين، (يناير ٢٠٠٠م).

الطبري، محمد بن جرير (٣١٠هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، ط١، تحقيق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.).

الطوفي، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم (ت ٧١٦ هـ)، الإكسير في علم التفسير، حققه الدكتور عبد القادر حسين، الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة.

الطيار، مساعد بن سليمان بن ناصر (١٤٣٢هـ)، التفسير اللغوي للقرآن الكريم، ط١، الناشر: دار ابن الجوزي.

الطيار، مساعد بن سليمان، فصول في أصول التفسير، الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الثانية.

العايد، سليمان بن إبراهيم (١٤٢٣هـ)، عناية المسلمين باللغة العربية خدمة للقرآن الكريم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

الفراء، يحيى بن زياد (ت ٢٠٧هـ)، معاني القرآن، ط١، المحقق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الناشر: دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر.

القرطبي، محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، ط٢، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).

القسطلاني، أحمد بن محمد (ت ٩٢٣هـ)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ط٧، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر (١٣٢٣هـ).

المعيذر، منى بنت عبد العزيز (١٤٣٤هـ)، اختلاف التنوع في التفسير – دراسة نظرية تطبيقية، ط١، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض.

مجموعة من المؤلفين، الموسوعة القرآنية المتخصصة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، مصر ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

النفيسان، سعود بن عبد الله (١٤١٨هـ)، اختلاف المفسرين وأسبابه، ط١، دار إشبيليا، مركز الدراسات والإعلام، الرياض.